المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 12 A آذار 2024
No.12A March 2024

أساسيات الحكم للسلطان محمد بن ملكشاه في كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك للغزالي

م .م سكينة عبد الكاظم محيسن
كلية التربية / جامعة القادسية مكان العمل:
البريد الالكتروني: sukaina.mohaisen@qu.edu.iq:
رقم الهاتف: 07822078379

الملخص:

يعتبر أبو حامد الغزالي من أشهر الفقهاء المسلمين والرواد السياسيين الذين اولوا الاهتمام البالغ اتجاه السياسة ووضع أساسيات مهمه للحكم من اجل اصلاح الامة والسير بها نحو التقدم موضحا ان اعتماد الحكام والسلاطين لأساسيات الحكم من عدل وحسن اختيار أصحاب المناصب في الحكومة والتواضع وترك التكبر وعدم ظلم الرعية كل هذه الأمور تؤتي ثمارها بتكوين حكومة فعالة لإدارة شؤون الشعب وتحقيق سيادته، وعلى اثر ذلك حدد الغزالي في كتابة " التبر المسبوك في نصيحة الملوك" الموجهة للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي اهم اساسيات الحكم التي يتوجب على السلطان محمد اتباعها لاستمرار حكمة على الطريق الصائب ليحقق تماسك الامة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: نشأة الغزالي، عصره العملي والسياسي، أساسيات الحكم.

The Basics of Governance by Sultan Muhammad bin Malik Shah in the Book of Cast Gold in Advice to Kings by Al-Ghazali

A.L. Sakina Abdul-Kadhim Mohaisen
College of Education / University of Al-Qadisiyah
sukaina.mohaisen@qu.edu.iq
07822078379

Abstract

Abu Hamid al-Ghazali is considered one of the most famous Muslim jurists and political pioneers who paid great attention to politics and established important foundations for governance in order to reform the nation and move it towards progress, explaining that the rulers and sultans' reliance on the foundations of governance, such as justice, good selection of those in positions of power in government, humility, abandoning arrogance, and not oppressing the subjects, all of these matters bear fruit by forming an effective government to manage the affairs of the people and achieve their sovereignty. As a result, al-Ghazali identified in his book "Al-Tabar al-Masbok fi Nasihat al-Muluk" addressed to Sultan Muhammad bin Malik Shah al-Seljuk the most important foundations of governance that Sultan Muhammad must follow in order for his rule to continue on the right path to achieve the cohesion of the Islamic nation.

Keywords: The emergence of Al-Ghazali, his scientific and political era, the basics of governance.

المقدمة:

رسم أبو حامد الغزالي في كتابة التبر المسبوك في نصيحة الملوك اهم اساسيات الحكم للسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه واعتبر كتابه من اهم كتب النصائح التي حوت في بطونها التوجيهات والنصائح البالغة

الأهمية، حيث صاغ الغزالي تلك التوجهات بأسلوب يتميز بالدقة موضحا للسلطان الأساسيات الرئيسية التي يتوجب علية اتباعها خلال مسيرته السياسية ليسنى له قيادة المملكة بحزم ودون عراقيل.

واقتضت الدراسة ان يقسم البحث الى مبحثين أساسيين حيث خصص المبحث الأول الذي جاء تحت عنوان " نشأة أبو حامد الغزالي وعصره السياسي والعلمي" حيث تناولنا في هذا المبحث نسب الغزالي واحوال أسرته كما تطرقنا الى مسيرته العلمية واحوال عصره السياسي، اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان " أساسيات الحكم في كتاب الغزالي التبر المسبوك في نصيحة الملوك" واوضحنا في هذا المبحث أساسيات الحكم التي أدرجها الغزالي في كتابة للسلطان محمد بن ملكشاه وصاغها بشكل نصائح تنفعه في مسيرته السياسية ، وأوضح الغزالي في نصائحه لسلطان عصرة ان التواضع والعدل وحسن السيرة الحسنه للسلطان واختيار الحاشية المميزين من وزراء وكتاب له بالغ الأهمية في قيادة الدولة نحو السمو والرفعة.

واختتم البحث بأهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها خلال هذه الدراسة فصيغت على شكل نقاط مهمه ثم قائمه بأهم المصادر والأولية و المراجع المعتمدة خلال فترة الدراسة.

المبحث الأول: نشأة أبو حامد الغزالي وعصره السياسي والعلمي:

خير ما يوصف به أبو حامد الغزالي بأنه أحد الفقهاء المسلمين ومن رواد السياسية لاهتمامه الكبير بالأمور السياسية، كأساس بالغ الأهمية للحكم في الدولة الإسلامية وسنتناول في هذا البحث أسياسيات الحكم وأصولها التي وضعها الغزالي كخارطة سياسية لمعاصرة السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه من خلال كتابة "التبر المسبوك في نصيحة الملوك".

ولكن قبل الخوض في غمار ما وصفة الغزالي في كتابة المذكور من امور الحكم ومتطلباته لابد لنا من إعطاء صورة مبسطة عن حياة هذا العالم وما واكبة من ظروف سياسية وما أخرجة لنا من لوحة علمية ليتسنى للقارئ رسم صورة لحياة الغزالي وسفرة العلمي " التبر المسبوك في نصيحة الملوك".

1. ولادته وأسرته:

ولد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي سنة (405هـ/ 1058م) بمدينة طوس [1] ، احد مدن خراسان ونشاء في عائلة فقيرة الحال حيث اشتغل والدة بغزل الصوف وبيعة بدكان صغير في مدينته طوس ، وذكر ان والدة في أوقات فراغة كان يتردد على مجالس المتفقهة ويتوفر على خدمتهم فتأثر بكلامهم حتى انه أخذ يتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يرزقه أبنا ويجعله فقيها وفعلا هذا ما حصل حيث نقل اغلب المؤرخين و منهم السبكي تلك الإشادة : ان أبو حامد كان افقة اقرانه وإمام زمانة وفارس ميدانه وكلمته شهد بها الكل. [2]

لكن القدر لم يمهل والد الغزالي ليرى أبنة حتى يكبر ويشهد نبوغه فقد اشتد به الحال وعندما أحس بدنو اجله أوصى أحد أصدقاء من المتصوفة خيرا بولديه أبو حامد وأخية أحمد ليرعاهما ويحرص على تعليمهم بعد أن دفع له كل ما يملك ليتسنى له الانفاق عليهم الا ان المال الذي تركة كان ضئيلا لا يسد كل المصاريف هذا بالإضافة ان صديق والدهم كان أيضا فقير الحال لا يستطيع تحمل مصاريفهم مدة طويله فنصح الاخوين بأن يلتحقوا بأحد مدارس العلم التي تتكفل برعاية طلابها [3].

أما والدة أبو حامد فيذكر أنها شهدت بعض من حياة ابنها وعاصرت نبوغه وعلو شأنه بين الناس، وللغزالي عم هو أحمد ابن محمد وكنيته أبو محمد أشتهر حتى أقر بفضلة علماء المشرقين والمغربين، اما فيما يخص زواجه يبدو انه تزوج بعمر مبكر بسن العشرين ورزق بثلاث بنات وولد واحد اسمة حامد

مات وهو صغير([4]). واصل أبو حامد الغزالي حياته يتنقل بين البلدان لتلقي العلم والمعرفة ليكون من أشهر علماء عصره حتى وفاته سنة (505هـ/ 1111) ([5])

هكذا كانت حياة الغزالي حياة معدمه يعتريها الفقر والبساطة إلا أنها وباتفاق الأغلبية كانت حياة مليئة بالتجارب والمغامرات التي صقلت شخصية الغزالي ليكون من الشخصيات الفذة والمبدعة التي قدمت للامة تراثا علميا بقي أثرة الى وقتنا هذا.

2. مسيرته العلمية:

بدأ أبو حامد الغزالي مسيرته العلمية منذ نعومة أظافرة عندما أحس في نفسه ميلا للعلم والمعرفة فأخذ طرفا من العلم في بلدة أولا ثم انتقل الى جرجان ([6]) ، و منها الى نيسابور ([7]) برفقة جماعة من الطلبة حيث كان أبي المعالي الجويني ([8]) ، فلازمة فتفقه على يده حتى مهر بالكلام وبرع بالفقه ، وقاوم الاقران ،وصنف العديد من الكتب الحسان في الأصول والفروع ، والتي ابدع في ترتيبها ووضعها ، حتى أنه صنف في حياة أستاذة أبو المعالي الذي دقق النظر في كتابة المسمى " المنخول" فقال له : دفنتني وأنا حي ، هلا صبرت حتى أموت ، قاصدا ان كتابك غطى على كتابي وهذا ما نقلة سبط ابن الجوزي. ([9])

ظل الغزالي برفقة أبو المعالي يتلقى منه كل معرفة وعلم حتى وفاة الأخير سنة (478هـ/ 1085م) ، وبعد وفاة أستاذة سار الى المخيم السلطاني قاصدا الوزير نظام الملك ([10]) ،الذي كان مجلسه ملتقى كبار العلماء وأصحاب المعرفة، فبلغ الغزالي أوج مجدة العلمي فأعجب به الوزير السلجوقي نظام الملك فولاة التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة (484هـ/ 1091م) وبقي هناك حتى ناظر الكبار ومهر بالتدريس حتى عام (488هـ/ 1095م) حيث ترك المدرسة، وترك امرها لأخيه، وتزهد، ولبس الخشن من الثياب ومارس حياة الزهد على نحو ما ذكره لنا ابن الاثير ([11]) ، تنقل أبو حامد بين البلدان بعد ان ترك النظامية وهو يمارس المطالعة ويناظر الكبار ويجادلهم حتى صار نابغة عصرة تارك وراءه تراثا علميا ضخما ([12]) ، حتى استقر فيه الامر أخيرا ان عاد الى طوس بعد مقتل صديقة الوزير السلجوقي فخر الملك ([13]) وسكن الطابران منها مؤسس مدرسة بالقرب من بيته يدرس فيها العلوم الدينية وقيل انها اختصت بالفقهاء وهذا ما أكدة السبكي ([14])

فأقبل على علوم الاخرة القران الكريم والحديث محاولا تأسيس حياة لا هم فيها ألا العبادة ومجالسة اهل الدين ، فكان له ما أراد حتى وفاته سنة (505هـ/ 1111م) في طوس ودفن في الطابران وصار قبره مزارا ([15]) .

3. عصره السياسي:

شهد عصر أبو حامد الغزالي تطورات وأحداث سياسية كثيره حيث عاش في منتصف القرن الخامس الهجري الذي اتسم بضعف الخلافة العباسية وتقلص نفوذها بوجود الاتراك السلاجقة وسيطرة وزراءهم على مقاليد الحكم فكثرت الفتن والاضطرابات السياسية مما أدى الى تلاشي هيبة الخلافة العباسية بوجود نفوذ السلاجقة حتى ان الخليفة العباسية بات لا يملك إلا ذكر اسمة في الخطبة والى جانبه اسم السلطان السلجوقي المسيطر على الأمور السياسية والجيش. ([16])

وبهذا يمكن اعتبار عصر الغزالي عصرا يموج بالخلافات والمشاحنات السياسية التي كانت تغلف بغلاف ديني بين العباسيين في بغداد يساندهم السلاجقة من جهة والشيعة بفرقها المختلفة من جهة اخرى لذا انشأ السلاجقة وفي مقدمتهم وزيرهم الشهير نظام الملك الطوسي المدارس النظامية لتعلم مبادى السنة ونشر دعوتهم وبيدوا ان هذا التصرف من قبل الرؤساء كان سببه انهم كانوا بأمس الحاجة الى مؤازرة العلماء لان الدين في ذلك الوقت كان هو الوسيلة لبناء دولة او الإطاحة بها من خلال خلط الزعماء السياسيون الدين بالسياسة ليصبغوا اغراضهم بصبغة دينية ليوهموا العامة .([17]) وفي خضم هذه الأجواء السياسية المتشابكة ظهر أبو حامد الغزالي الذي عينة الوزير نظام الملك الطوسي ليكون احد اشهر مدرسي

المدرسة النظامية في بغداد فأحتل من مجلس نظام الملك محل القبول فبرز اسمة وعلا نجمه وناظر الكبار وأعجب الْكل بتدريسه ومنَاظرته وعلت درجته فِي بغداد. ([18])

أن الصراعات السياسية التي برزت في عصر الغزالي أثرت وبشكل مباشر على فكرة حيث كان وقتها هو الفقيه ورجل السياسة والمستشار القانوني في حاشية السلاطين السلاجقة وأكابر وزرائهم وخاصة نظام الملك الطوسي فألف الغزالي العديد من الكتب في حظرت الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة لأنه يرى ان هناك ارتباط وثيق بين ثبات السلطة وتماسك المجتمع، فهو لا يتصور وجود مجتمع متماسك دون سلطة قوية ويبدو ان السنوات التي قضاها الغزالي في النظامية في بغداد جعلته غير مستقر عكس سنوات اعتزاله وخروجه من بغداد كان اكثر هدوء بسبب ابتعاده عن امور السياسة فأخذ يدعوا الى دولة دينية إسلامية متماسكة ([19])

المبحث الثاني: أساسيات الحكم في كتاب الغزالي التبر المسبوك في نصيحة الملوك:

على الرغم من تدهور وتصدع الحياة السياسية في عصر أبو حامد الغزالي وانتشار الفرق والمذاهب واستفحال أمرها الذي امتد أيام الخلفاء العباسيين والعصر السلجوقي، نجد ان الحياة العلمية والفكرية كانت مزدهرة رغم كل الظروف ويرجع السبب في ذلك ان الخلفاء العباسيين كانوا قد احتووا العلماء واهل المعرفة وكان اكثرهم من مريدي ومحبي العلم ([20]) ونرى هذا واضحا من خلال اهتمام الكثير من العلماء بتأليف كتب ومؤلفات قدموها للخلفاء ومنهم أبو حامد الغزالي الذي صنف كتابا للخليفة المستظهر بالله ([21]) ، واستمر الغزالي في نضاله العلمي في خدمة اهل المراكز والسلاطين الذين واكبوا عصره حيث ادرك هؤلاء ان العلم هو أساس وعماد الدولة فسعى سلاطين السلاجقة الى تشجيع العلماء واحتواءهم واحثوا كبار رجال دولتهم ولا سيما الوزير نظام الملك الطوسي إعطاء الامر أهمية بالغة ، فسعى الأخير الى انشاء المدارس في أماكن مختلفة واشهرها نظامية بغداد التي احتوت الغزالي فصار من اشهر مدرسيها ([22]) .

وانتشرت حركة التأليف وظهرت موسوعات علمية عديدة لأبرز المؤلفين والعلماء الذين ارتبطوا بصلات وعلاقات مع السلطات الحاكمة وقتها ولعل ابرزهم أبو حامد الغزالي الذي كثرت تصانيفه في شتى العلوم فصنف كتابا في الإدارة والسياسة للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ([23]) .

و وضع أبو حامد الغزالي في كتابة أفكاره بعد ان لاحظ ظروف وأحوال عصره السياسية وأدرك تقلبات الأمور وشيوع الفساد في العقائد والانحراف عن المسار الصحيح في العبادة والمعاملة لذلك كتب للسلطان محمد بن ملكشاه مصنفة و سفرة الشهير " التبر المسبوك في نصيحة الملوك" ليكون الخارطة السياسية للسلطان المذكور في خضم تلك الفوضى التي احدثتها الصراعات السياسية والانحرافات العقائدية ، و من خلال قراءتنا للكتاب لوحظ ان الغزالي رسم في كتابة قواعد وأساسيات الحكم للسلطان محمد بن ملكشاه داخل المملكة واضعا في مدونة الحلول والمعالجات للخروج من الازمات والظلم الذي يقع على الرعية، فاحتل كتابة منزلة مهمه في ميدان السياسة والإدارة واعتبر من المؤلفات المهمة في مجال تقديم النصح وارشاد السلاطين الى أساليب السياسة الحكيمة فأحتوى الكتاب على اشارات مفيدة في ادأب إدارة السلطة ليساعد سلطانة السلجوقي على الاخذ بنظر الاعتبار اهم الأساسيات في إدارة دفة الحكم ولعل من ابرز تلك الأساسيات التي قدمتها الغزالي للسلطان محمد بن ملكشاه هي:

1.التواضع أساس الحكم:

من الملاحظ ان أبو حامد الغزالي وضع كتابة " التبر المسبوك في نصيحة الملوك" للسلطان محمد بن ملكشاه عندما سمع بانة تولى إدارة السلطة السلجوقية واعتبر كتابة هذا توجيهات لسلطانة السلجوقي ليتمكن من إدارة مملكته وفق ضرورات واساسيات حكم يتوجب علية اتباعها لإدارة دفة الحكم حيث خاطبة في بداية كتابة مذكر إياه بنعم الله علية ولعل أهمها نعمة الأيمان وصرح الغزالي عن هذه الضرورة بقولة : هو بذرة السعادة المؤبدة، والنعمة المخلدة ([24]) .

ويبدو ان أبو حامد الغزالي حاول الوصول في بداية توجيهاته للسلطان الى اهم شروط واساسيات الحكم لإحلال العدل والانصاف منوها الى صفة التواضع كضرورة اساسية للحاكم الناجح فواصل المؤلف سارد للسلطان أهمية ترك التكبر بعد ان بين له اثارها السلبية وأورد له امثلة من تجارب سابقيه لتكون موعظة له ووثق نصيحته هذه بقول للرسول الكريم محمد (صل الله علية وعلى اهله وسلم)

: " من كظم غيظه وهو قادر على أن لا يكظمه ملأ الله قلبه بالإيمان، ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من التكبر والخيلاء ألبسه الله تعالى حلل الكرامة " ([25]).

ويترجم الغزالي اهتمامه بهذا الأصل بأكثر من جانب فهو يوصي السلطان محمد ان يلتزم بالتواضع وان يمحي صفة التكبر من حياته لأنها تحدث السخط والغضب الذي يجر الى الهلاك وهدم أساس مهم من اساسيات الحكم التي يتوجب على الحاكم الالتزام بها حيث وجهه بقولة " فاذا صار ذلك عادة لك ماثلت الأنبياء والأولياء، ومتى جعلت إمضاء الغضب عادة ماثلت السباع والدواب " ([26]).

ويبدو ان اغلب توجيهات الغزالي لاقت صداها في نفس السلطان محمد وخاصة ان والد السلطان ملكشاه كان في بدايات حكمه قد سار على النظام الذي رسمة له وزيرة نظام الملك الطوسي من خلال سفرة الادبي " سياسة نامة" فلا بد ان نجاح الاب في إدارة الحكم له اثرة على من يتبعه في السلطة فنلاحظ ان سياسة السلطان ملكشاه نجحت بفضل ما أورده هذا المخضرم في قضية الحكم والسلطة من أمثلة من الحقبة القديمة عن صفات الحكام واساسيات حكمهم ووصفهم بأنهم مختارون من الله تعالى لتسير شؤون الرعية ([27]) .

2. اختيار حاشية السلطان من اساسيات الحكم:

ألف أبو حامد الغزالي كتابة " التبر المسبوك في نصيحة الملوك" الذي هو عبار عن

توجيهات ونصائح للسلطان محمد بن ملكشاه بعد ان أدرك اتساع دولة ال سلجوق واختلاط المؤسسات الحكومية والدينية بشكل ملفت للنظر ومعرقل لسير الأمور، لذا أبدى نصائحه وتوجيهاته لسلطان عصره لغرض كشف مواطن الخلل والضعف في الدولة وللتوصل الى الحلول المناسبة لمعالجتها وليتسنى للسلطان قيادة المملكة دون عراقيل.

ولترسيخ أهمية اختيار حاشية السلطان من وزراء وكتاب كأساس مهم من أساسيات الحكم خصص أبو حامد الغزالي لهذه الضرورة مكانا في مؤلفة ناصحا السلطان محمد بأهمية الالتفات الى حاشيته وان لا يتسرع في اختيارهم حتى يمكن الرجل المناسب في المكان المناسب للارتقاء بدولته ونقل له حكمة في هذا الشأن عن موبذان في عهد أنو شروان: " إنه لا يمكن حفظ السلطنة إلا بالأصحاب الأخيار الناصحين المساعدين، ولا ينفع خير الأصحاب إلا إذا كان الملك تقيا، لأنه ينبغي أن يكون الأصل جيدا ثم الفرع." ([28]) كما أورد له في هذا الشأن قولا لعله يلاقي صداه

"ان كل ملك كان وزيره جاهلا فمثلة كمثل الغيم الذي يبدو ويظهر ولا يندي ولا يمطر " ([29]) .

ويترجم الغزالي اهتمامه بأهمية حسن اختيار الحاشية من أصحاب المراكز كأساس للحكم بأكثر من جانب فهو يوجه سلطانة بضرورة ابعاد الأدنياء عن مملكته وعمارة المملكة بتقريب العقلاء و العلماء وأصحاب القلم الماهرين من الكتاب بعد ان أوضح صفاتهم مستشهدا بكتاب الله الكريم ليوضح للسلطان محمد محاسن هذا الامر فنقل قولة تعالى " اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " ([30]) وأختتم الغزالي نصيحته للسلطان السلجوقي في هذا الباب الذي اعتبره ضرورة ملحة للحاكم الناجح وعدة الشريان الرئيسي للحكومة ان يضع نصب عينية عند اختياره لحاشيته ان يكونوا من اهل العلم والمتبحرين فيه موضحا له ان العلم يشع سنا الاشراق على الملك، وهذا معروفا في كثير من كتب النصائح الموجهة للسلاطين فنجد في بطون تلك الكتب الحكم المأخوذة من تجارب السابقين كقول لقمان الحكيم: لا صديق

افضل للمرء من العلم فهو احسن من الكنز لأنك أنت الذي تحمي الكنز في حين ان العلم هو الذي يحميك. ([31])

3. العدل وعدم الظلم من أساسيات الحكم:

ان العدل بمفهومه العام يعني المساواة والحكم بالحق بين الطرفين وعدم الانحياز الى طرف دون الاخر، والعدل هو صورة العقل الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في أحب خلقه اليه وبالعدل عمرت الأرض .([32]) ، ومن اجل استيفاء شروط الحكم وأساسياته وجه الغزالي النصح للسلطان محمد بن ملكشاه فيما يخص العدل نحو أنشاء نظام سياسي مبني على العدل والمساواة ، فخاطب السلطان بقولة: أعلم وتيقن ان الله سبحانه وتعالى اختار من بني ادم طائفتين هم الأنبياء (عليهم السلام) ليبينوا للعباد على عبادته الدليل ، واختار الملوك لحفظ العباد من اعتداء بعضهم على بعض ، فربط بهم خلقة في معايشهم بحكمته وعنى بذلك ترجيح كفة العدالة إذا ما قورنت بغيرها من أساسيات الحكم ، موضحا للسلطان انه ظل الله في ارضة والسلطان العادل من عدل بين العباد، والسلطان الظالم شؤم لا يبقى ملكة ولا يدوم ،فبنى هذا المفكر السياسي نظريته على العدل موجها السلطان الى قول الرسول الكريم (صل الله علية وعلى اهله وسلم)" الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم " ساردا له الروايات التي تحمل بطياتها تجارب الماضين مستشهدا ببعض الابيات الشعرية لتأكيد نصائحه فنقل لسلطان بعضا منها:

تقطب منك طلق الوجه يوما ترى بالعدل عن جور جزاء

فقل للناس ما تهوى استماعا ولا تقل إن اخترت البقاء ([33])

وبهذا نرى ان الغزالي كرس مجهوده وأفرغه عصارة أفكاره بمدونة الذي خصصه للسلطان محمد بن ملكشاه، فأسدى له النصائح والملاحظات القيمة ليساعده في إدارة دفة الحكم.

4. حسن السيرة والخلق من أساسيات الحكم:

رسم أبو حامد الغزالي المتمرس سياسيا وأداريا الخارطة السياسية للسلطان محمد بن ملكشاه، موضحا له بأن نوعا من الضبط ينبغي دعمة والمحافظة عليه ليتمكن من السيطرة على زمام الأمور داخل المملكة، ووجه بضرورة حسن السيرة والخلق مؤكدا له أن صلاح الرعية في حسن سيرة الحاكم كما نصحه بعدم مشاركة الرعية في الأفعال المذمومة بل علية منع الفعل السيء ومعاقبة المسؤول عنها، ناقلا له قول افلاطون كنوع من التذكير : علامة السلطان المظفر أن يكون قويا في نفسة ، لازما لصمته مفكرا في رأيه وتدبيره بقلبة، شريفا في نفسه ([34]).

وأعتبر الغزالي ما يتحلى به السلاطين من خلق حسن هو من أساسيات الحكم الناجح، فكل انسان يذكر بالذي كان يفعله وينسب اليه ما كان يعمله من شر أو خير، فالذي يزرع بذرة الاحسان ويبتعد عن الفاحشات والخطايا لا سيما الملوك، يبقى بعدهم حسن السيرة وصالح الاسم كقول أحد الشعراء الذي نقلة الغزالي ليبرهن لسلطانه ضرورة وأهمية نصيحته كأساس مهم لحكمه فنقل له بعض الابيات:

اهرب من الذنب وتب يا فتى وإن بدا منك فعد واندم

وانف عن نفسك ما شانها ومن مساوي الدهر خف تسلم ([35])

ويتضح لنا مما سبق من نصائح وجهها أبو حامد الغزالي في كتابة " التبر المسبوك في نصيحة الملوك" فيما يخص اساسيات الحكم مدى دقة وقدرة الغزالي في رسم مسيرة الحكم للسلطان محمد بن ملكشاه من خلال اختياره نماذج لروايات وحكم ذات طابع مؤثر وبحسب اعتقادنا بعد التدقيق في صفحات الكتاب أن الحافز الأساسي لتأليف الغزالي لكتابة هذا هو تحسسه للمشكلات التي بدأت تظهر في عصره لهذا سعى

جاهدا بتوجيه سلطان عصره الى بعض الأمور التي يتوجب علية اتباعها لإحلال العدل والأنصاف للحفاظ على قوة واستمرار مملكته.

الاستنتاجات:

لقد أظهرت الدراسة عددا من النتائج التي يمكن أجمالها بعدة نقاط أساسية وذلك على النحو الاتي:

1. يعتبر أبو حامد الغزالي نابغة عصره وله إثر واضح في الحياة الإسلامية من خلال عطائه وفكره المتميز في علوم الفقه والأصول والفلسفة.

2. وجهه أبو حامد الغزالي نصائحه للسلطان محمد بن ملكشاه في كتابة التبر المسبوك في نصيحة الملوك بعد ان أدرك تقلبات الأحوال السياسية في عصره محاولا رسم المسيرة السياسية لسلطان عصره.

3. أوضحت الدراسة أن استقرار وتطور أي دولة لا يتحقق الا بوجود نظام سياسي محكم يقوده حاكم عادل.

4. ربط الغزالي جميع اساسيات الحكم مع بعضها البعض وحث السلطان محمد بالالتزام بها وان أي خلل في مهمه واحده يخل بسياسة الحكم وبالتالي يقود الى الفوضى.

5. أستخدم الغزالي الأسلوب المؤثر في صياغة نصائحه وتوجيهاته للسلطان محمد بن ملكشاه من خلال مزجها بالروايات المأخوذة من تجارب السابقين والحكم المؤثرة.

الهوامش:

([1]) طوس : وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران، ويقال للأخرى نوقان، وفيهما أكثر من ألف قرية فتحت في أيام الخليفة الثالث عثمان، وبها قبر الإمام علي بن موسى (ع)، وبها أيضاً قبر هارون العباسي. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت:862هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ط2، (دار صادر، بيروت،1416هـ/1995م)، ج4، ص49.

([2]) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين،(ت: 771هـ/ 1369م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو،ط2، (هجر للطباعة والنشر،1413هـ/ 1992م)،ج6،ص 194.

([3]) ينظر : البرجس، عارف مفضي، التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ط2،(دار الاندلس، بيروت،1983م)، ص 16.

([4]) ينظر : دنيا، سليمان، الحقيقة في نظر الغزالي، ط3، (دار المعارف، القاهرة، 1971م)، ص18.

([5]) ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: 1067هـ/ 1656م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د. ط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1360هـ/ 1941م)، ج2، ص1533.

([6]) جر جان : مدينة عظيمة ومشهورة بين طبرستان وخراسان ، وتعتبر جرجان أكبر مدينة في نواحيها ، أول من احدث بناءها هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، خرج من هذه المدينة العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والمحدثين . ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت:862هـ/ 1228م)، معجم البلدان، ط2، (دار صادر، بيروت،1416هـ/1995م)، ج2، ص 119.

([7]) نيسابور: مدينة عظيمة من أعمال خراسان وهي في الإقليم الخامس، بلد واسع كثير الأكوار، ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان بن عفان في سنة ثلاثين، وأهلها أخلاط من العرب والعجم. ينظر: المنجم، إسحاق بن الحسين (ت: ق4هـ/ 625م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط1، (عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/ 1987م)، ص72؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 331.

([8]) أبو المعالي الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد، العلامة إمام الحرمين، ضياء الدين أبو المعالي بن الشيخ أبي محمد الجويني، رئيس الشافعية بـ (نيسابور) مولده في محرم، تسعة عشرة وأربعمائة، وتفقه على والده، وأتى على جميع مصنفاته، ومن أشهر كتبه (البرهان) في أصول الفقه الذي شرحه الإمام المازري. ينظر: ابن الفراء، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت: 516هـ/ 1122م)، التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، ط1، (دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م)، ج1، ص84؛ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت: 548هـ/ 1153م)، الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي، د. ت)، ج1، ص98.

([9]) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، (ت: 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ط1، تحقيق: محمد بركات وآخرون، (دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، 1343هـ/ 2013م)، ج20، ص 50.

([10]) نظام الملك : وهو الوزير السلجوقي أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس المكنى بنظام الملك ، ولد في قرية الراذكان التابعة لأرياف طوس سنة (408هـ/ 1017م) ، عمل في الوزارة السلجوقية في خدمة السلطان الب أرسلان وابنة ملكشاة حتى مقتلة سنة (485هـ / 1092م). ينظر: البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد، (ت: 565هـ/ 1169م)، تاريخ بيهق، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، (دار اقرأ للطباعة والنشر، دمشق، 1424هـ/ 2003م)، ص182.

([11]) أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، (ت: 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، ط1، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1417هـ/ 1997م) ،ج8، ص 396.

([12]) ينظر: شلبي ، أبو زيد ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (مكتبة وهبة، القاهرة، 1423هـ/ 2012م)، ص203.

([13]) **فخر الملك:** أبو الفتح المظفر علي بن نظام الملك، ولد سنة (434هـ/ 1042م)، كان فخر الملك بيروقراطيا فارسياً شغل منصب الوزارة للسلطان بركيارق السلجوقي (485 – 498هـ/ 1092 ــ 1104م)' ومن ثمّ وزيراً للأمير السلجوقي وحاكم خراسان أحمد سنجر بن ملكشاه (511 – 552هـ/ 1117 ــ 1157م) وكانت وفاته في عاشوراء من سنة (500هـ / 1106م) في نيسابور على يد باطني طعنه بسكين عن عمر ست وستين سنة. ينظر: الرواندي، محمد بن علي بن سليمان، (ت: 603هـ / 1206م)، راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم نعيم الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين وفؤاد معطي الصياد ،د.ط، (المجلس الأعلى للثقافة والنشر ، القاهرة ، 1379هـ/ 1960م)، ص220؛ اليزدي ،العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: عبد النعيم محمد وحسين أمين، د.ط (مطبعة جامعة بغداد، 1400هـ/ 1979م)، ص76؛ ابن كثير، البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي البصري الدمشقي،(ت: 774هـ/ 1372م) ، البداية والنهاية ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1، (دار هجر للطباعة والنشر ، الجيزة، 1418هـ/ 1997م) ،ج12، ص167.

([14]) طبقات الشافعية الكبرى ، ج 4، ص 106.

([15]) ينظر : السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ص 106.

([16]) ينظر: حلمي، أحمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط1، (دار البحوث العلمية والنشر، الكويت، 1395ه / 1975م)، ص158.

([17]) ينظر: دنيا ، الحقيقة في نظر الغزالي ، ص15.

([18]) ينظر : ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ/ 1175م)، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/ 1983م)، ص 292.

([19]) ينظر: الجبوري، عبد الرزاق جدوع، الفكر الاجتماعي عند الأمام الغزالي دراسة تحليليه في الفكر الاجتماعي المقارن، ط1، (دار غيداء ، عمان، 1432هـ/ 2011م) ، ص80.

([20]) ينظر: مريزن، سعيد عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ط1، (مكتبة الطابع الجامعي ، مكة المكرمة، 1407هـ/1986م)، ص176.

([21]) المستظهر بالله: هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله، ولد سنة (470هـ/ 1077م)، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه، وله من العمر ست عشرة سنة. كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب، توفي سنة (512هـ/ 118م). ينظر: السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/ 1505م)، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، (مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 1425هـ / 2004م)، ص303؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت: 732هـ / 1331م)، المختصر في أخبار البشر، ط1، (المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د. ت)، ج2، ص204.

([22]) ينظر: رايس، تامارا تامبلوت، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، د. ط، (مطبعة الإرشاد، بغداد، 1388هـ/ 1968م)،ص 145-147

([23]) محمد بن ملكشاه: أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، الملقب غياث الدين، توفي والده السلطان ملكشاه فاقتسم أولاده الثلاثة (بركيارق، وسنجر، ومحمد) مملكته، تولى محمد الملك بعد وفاة السلطان بركيارق سنة (498هـ / 1104م)، فاستقل بالسلطة ولم يبقَ له منازع، وأقام على ذلك مدة ثم مرض وتوفي في ذي الحجة سنة (511هـ / 1117م) بمدينة أصبهان عن عمر سبع وثلاثين سنة وأربعة أشهر. ينظر: الراوندي، ص235؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 681هـ / 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، (دار صادر، بيروت، 1415هـ/ 1994م)، ج5، ص71.

([24]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/ 1988م)، ص 7.

([25]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ص 26.

([26]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك 24.

([27]) ينظر : نظام الملك، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي (ت: 485هـ/ 1092م) سياسة نامة، ترجمة: يوسف بكار، ط2، (دار المناهل الأولى، بيروت، 1428هـ/ 2007م)، ص 53.

([28]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص85.

([29]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص 87.

([30]) القران الكريم ، سورة يوسف، اية 55.

([31]) ولمزيد من الأمثال والروايات التي ترجح أفضلية العلم وتحث على اتباعها مراجعة : نظام الملك ، سياسة نامة ، ص 99 .

([32]) ينظر : رسلان، صلاح الدين بسيوني، الفكر السياسي عند الماوردي، د.ط ، (دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1983م) ، ص 136.

([33]) ولمزيد من المعلومات فيما يخص العدل وأهميته للحكم مراجعة ، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص 58 - 64.

([34]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ص 72 .

([35]) التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص 44.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر الأولية:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: 630هـ/ 1232م).
1. الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ / 1997م).
- البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد (ت: 565هـ / 1169م).
2. تاريخ بيهق، تحقيق وترجمة: يوسف الهادي، ط1، (دار اقرأ للطباعة والنشر، دمشق، 1424هـ / 2003م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: 1067هـ/ 1656م).
3. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د. ط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1360هـ/ 1941م).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 681هـ / 1282م).
4. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، (دار صادر، بيروت، 1415هـ/ 1994م).
- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت: 603ه / 1206م).
5. راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم نعيم الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين وفؤاد معطي الصياد، د. ط، (المجلس الأعلى للثقافة والنشر، القاهرة، 1379هـ/ 1960م).
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأُوغلي بن عبد الله (ت: 654هـ/ 1256م).
6. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد أنس الخن وكامل محمد الخراط، ط1، (دار الرسالة العالمية، دمشق، 1434هـ/ 2013م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/ 1505م).
7. تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، (مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 1425هـ / 2004م).

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت: 548هـ/ 1153م).
8. الملل والنحل، (مؤسسة الحلبي، د. ت).

- ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ/ 1175م).
9. تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/ 1983م).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505هـ/ 1111م).
10. التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/ 1988م).
- ابن الفراء، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (ت: 516هـ/ 1122م).
11. التهذيب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، ط1، (دار الكتب العلمية، 1418هـ/ 1997م).
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت: 732هـ / 1331م).
12. المختصر في أخبار البشر، ط1، (المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د. ت).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي البصري الدمشقي (ت: 774هـ/ 1372م).
13. البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، 1418هـ / 1997م).

- المنجم، إسحاق بن الحسين (ت: ق4هـ/ 625م).
14. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط1، (عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/ 1987م).
- نظام الملك، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي (ت: 485هـ/ 1092م).
15. سياسة نامة، ترجمة: يوسف بكار، ط2، (دار المناهل الأولى، بيروت، 1428هـ/ 2007م).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت عبد الله الرومي (ت: 626هـ/ 1228م).
16. معجم البلدان، ط2، (دار صادر، بيروت، 1416هـ/ 1995م).
- اليزدي، محمد بن محمد بن عبد الله بن نظام الحسيني (ت: 743هـ/ 1342م).
17. العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: عبد النعيم محمد وحسين أمين، د.ط (مطبعة جامعة بغداد، 1400هـ/ 1979م).

المراجع:

- البرجس، عارف مفضي.
18. التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ط2، (دار الاندلس، بيروت،1983م).

- حلمي، أحمد كمال الدين.
19. السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط1، (دار البحوث العلمية والنشر، الكويت، 1395ه / 1975م).

- الجبوري، عبد الرزاق جدوع.
20. الفكر الاجتماعي عند الأمام الغزالي دراسة تحليليه في الفكر الاجتماعي المقارن، ط1، (دار غيداء، عمان، 1432هـ/ 2011م).

- رايس، تامارا تامبلوت.
21. السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، د. ط، (مطبعة الإرشاد، بغداد، 1388هـ/ 1968م).

- رسلان، صلاح الدين بسيوني.

22. الفكر السياسي عند الماوردي، د.ط، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1983م).

- شلبي، أبو زيد.
23. تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، (مكتبة وهبة، القاهرة، 1423هـ/ 2012).

- دنيا، سليمان.
24. الحقيقة في نظر الغزالي، ط3، (دار المعارف، القاهرة، 1971م).

- مريزن، سعيد عسيري.
25. الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ط1، (مكتبة الطابع الجامعي، مكة المكرمة، 1407هـ/1986م).